

إلى الجمع الثوري :

## الأسماك في الشواطئ الحضرية

للأستاذ علي عبود العلوي

تمهيد :

لا شك أن وجود الأسماك بكثرة في الشواطئ الحضرية هو الحافز الأعظم لبعض مفكري الحضارة في السواحل وتأسيس شركة تجارية بمهجر الحضارة ( جاوة ) من فائتها استقلال الثروة الوطنية وتنميتها بإنشاء مصنع لحفظ الأسماك في العلب وتصديرها فيما بعد إلى الخارج .

ولا غرو أن يهتم بالسفر إلى ميناء حضرموت ( المكلا ) رئيس الشركة السيد علي بن شهاب للدرس ما يقتضيه المشروع ورفع تقرير لأعضاء الشركة . غير أن المشروع أخفق في مساه ولا أعرف بالضبط ما هي الأسباب الموجبة لذلك . وتاريخ هذه الخطوة التفكيرية الأولى يرجع إلى أثناء الحرب الماضية حرب ( ١٩١٤ م ) على ما ذكر<sup>(١)</sup> .

ولئن أخفق هذا المشروع فإنه لم يقض على الفكرة أصلاً . وقاية ما في الأمر أنها تبلت مرة وتخت أخرى . حتى دب إلى النفوس خبر انعقاد مؤتمر الإصلاح الحضري التقدم بنسافورا في سنة ١٣٤٦ - ١٩٢٧ فانبثت الفكرة مرة أخرى ، ولكن في صورة واسعة النطاق . إذ وافق المؤتمر على تأسيس شركة تجارية حضرية برأس مال كبير من فائتها استقلال الثروة الوطنية ، وورش لهذا القرار لجنة تتألف من أغنياء الحضارة وسراهم برئاسة المثري الشهير السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف . غير أن مقررات المؤتمر قضى عليها بجمرة قلم ولم تكن هي من نصيب بحثنا لنولها مزيداً من البحث والتعميل والتدليل .

ودليل آخر أضيفه إلى ما سبق أن أشرت إليه فقد حدثت

(١) في جريدة الأقبال التي كانت تصدر ( بريايا ) جاوة - إشارة إلى هذا الخبر وهي لا تحضرني الآن .

بعد عودتي إلى الوطن من الكنافة في ١١/٨/١٩٤٢ من رحلتي التي استغفدت من العمر زهاء خمس عشرة سنة أن عظمة السلطان صالح بن غالب القميطي معتمز إنشاء حوض كبير لتربية الأسماك والاستفادة منها علياً .

فتي يتحف عظمة السلطان شعبة الحضري بهذه المكرمة الجليلة التي لم تكن هي إحدى مكارمه ؟ فعمى أن يكون ذلك قريباً .

معجم للأسماك :

واغتنتم فرصة وجودي في ( المكلا ) للتعرف إلى أبناء النهر الحضري ، وقد لقيت منهم تاهيلاً كبيراً ، ومن تحدثت معه عن وضع معجم للأسماك الأستاذ عبد الله الناخي فهش للفكرة - وقال : إن نفس هذه الفكرة قد سبق أن أوحى بها إليه عظمة السلطان صالح القميطي ، ومن أجل ذلك فإنه نائب في البحث ، وأنه قد كتب مذكرة عن الأسماك تضم زهاء مائتين وخمسين اسماً .

ولا أزال أرجو من الأستاذ الناخي أن يجد في البحث لكي يتحف العالم العربي بشمرات أبحاثه .

غير أني أخشى أن تقعد بالأستاذ الناخي أعماله المدرسية وشواغله اليومية . فقد أتضح لي أنه طيلة مدة التي قضيتها في حضرموت وهي سنة وثلاثة أشهر لم يقدر له أن يواصل البحث الذي سبق أن حدثني عنه بشي . يذكر .

وقبل أن نتجه إلى الغاية المقصودة بمجدد بنا الإشارة إلى أن السيد الشاعر عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين العلوي المتوفى في حدود سنة ١٢٧٠ هـ قصيدة طويلة ضمنها أسماء الأسماك الموجودة بالشط الحضري ، ولم تقع هذه القصيدة تحت نظري وإنما حدثت عنها وهي مشهورة بحضرموت وموجودة منها نسخ في مهجر الحضارة . جاوة ، ولئن تخلو منها مكاتب حضرموت ، ولا شك أنها من محفوظات خزنة حفيده السيد الجليل عبد الرحمن بن عبد الله بن شهاب في ( الفناء ترم ) .

فهل يتحف بها « الرسالة » القراء أحد أدباء القطر الحضري ؟ ومما وقع تحت نظري له وأنا في سن المراهقة قصيدته المشهورة التي وصف فيها المرأة وحصنها بالقاضلة ما بين البيض والسمر والخضر والسود .

فياهل ترى وصف لنا الصهب والزرق إلى غير ذلك ؟ لا أدري  
فذلك عهد طال به العهد ولم يبق عالفاً ببال منه شيء .

ومن قصائده المشهورة في المفاضلة قصيدته التي خصها  
بالنخل ويقال إنه ذكر فيها زهاء مائتين وخمسين اسماً من أسماء  
النخيل الموجودة بحضرموت .

ومما علق بداً كرتي منها قوله بصف نوعاً من النخل يسمى باليتيمة :  
وعادُ تمرَ اليتيمة ، يُعجِبُكَ خُزْءُهُ وَصَيِّمُهُ تَقْدُومُ  
لأهلِ التَّفَخُّارِ . التَّخْمِيسِ ( مائىء كما التمر في الدار ) .

( الألفاظ : عاد . بمعنى بقي . والنزعُ من التمر ما أخرج  
نواه . الصَّيْمُ : هو ما أخرج نواه أيضاً ، وهُرس بالأرجل  
كما هو معروف في حضرموت . أهل التَّفَخُّارِ : هم الضيوف  
الذين يقدون على بيوت الكرم ممن يفخر بهم )

وأكثر أشعار هذا السيد ( حَمِينِيَّة ) أي أنه لم يلتزم  
فيها قواعد الإعراب ولها عروضها الخاصة لأنها تتابع الأنعام .  
وهذا السيد هو والد الشاعر الكبير شيخ النهضة الحضرمية  
أبو بكر بن شهاب ( راجع « الرسالة » الفراء عدد ٤٢٣ صفحة  
١٠٠٧ ) ومؤلفنا عنه ( الشهاب العلوي ) .

وأخيراً أتاحت لي الفرص التعرف على أسماء جانب من الأسماك،  
وذلك بفضل الرحلة الشاقة التي دفعت نَمَّها بالمخاطرة الروحية .  
إذ أقلتني من ميناء حضرموت ( السكلا ) إلى ( جدة )  
ساعية شراعية . حقاً إن هذه الرحلة شاقة مضنية ولكنها  
تذكرنا بآثار آبائنا الصَّيِّدِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْتَرِقُونَ الْبَحَارَ بِرَأْسِ كِبِهِمُ  
الشراعية ، وكانت لهم السيادة البحرية إذ ذاك .

وكانت بواخرهم تطلع من سوانى حضرموت إلى أقصى  
الشرق الأقصى ، ولم في هذا الميدان تاريخ عظيم القدر مشهور  
بمكانته العظيمة . ولم مع البرتغال مواقف مشهورة ليس هذا  
موضع الحديث عنها .

وكان علماءهم لا يدعون الأوقات تمر عليهم سدى فكانوا  
يحصلون العلم وهم في أثناء سفرهم الذي يمتد بهم إلى أكثر من  
سنة أشهر إلى أن يصلوا إلى الموانئ الشرقية بجزر الملايو وجاوة .  
وفوق هذا فقد كانوا يقضون على السامة التي تعقب مثل  
هذه الرحلات الشاقة بما يتفرغون له من دروس علمية أثناء

سيرهم واستفناخ بعض الكتب العلمية التي هم في حاجة إليها .

وعسى أن تتاح لي الفرصة فأوافق « الرسالة » الفراء  
ببحث خاص ذات صلة بالموضوع ، ومن كان متمجلاً فليراجع  
ما ورد بهامش مقال لنا نشر في عدد ٢٣٤ من مجلة الرابطة  
العربية تحت عنوان : خصائص الشعر في عصر ابن شهاب  
أو بيل غلته بمراجعة تاريخ دخول الإسلام إلى ( الفلبين ) وهو  
من تأليف الدكتور نجيب صليب اللبناني التوفى سنة ١٩٣٥ ،  
وهو مطبوع في اللغة الإنجليزية طبع ( مينلا ) سنة ١٩٠٥ م -  
لقد كانت المدة التي قضيتها في البحر من حين أبحرنا من  
( السكلا ) بعد ظهر يوم الأحد في ١٩٤٣/١١/٧ إلى أن أرسد  
بنا السفينة في ميناء ( جدة ) في ١٩٤٣/١١/٢٥ هي الكفيلة  
بأن تتيح لي ما لم يكن في الحسبان .

وكانت الدوامى التي تجلنى أهم بالبحث في التعرف على أنباء  
اليم كثيرة ، ولو لم يكن منها إلا المنحة الغذائية التي يتحقتنا بها  
اليم في صباح كل يوم ومساكنه لكنت هي وحدها كافية فضلاً  
عن الناحية العلمية التي يجدر بنا أن نشارك فيها بحسب المستطاع .  
لفتت نظري هذه الأحياء العظيمة التي نشاهدنا في البحر  
في كل آن ، وهي تمشى زرافات ووحيدانا ، والتي منها ما يتحدى  
سفينتنا في مجراها . فكشفت ريان السفينة الحضرمية والبحارة  
وزملائهم أن لي شتقاً بالتعرف على هذه الأسماك مما شاهدنا وما  
لم نشاهد . فإنا كان منهم إلا أن أمدوني بهذه المعلومات التي أدونها  
« للرسالة » الفراء ، ولهم على فضل التنويه والشكر .

ولم يحجم أبناء البحر - أستغفر الله - بل أخذانه من  
الحديث إلا ريثما أدون ما يفوه به التصدي للحديث ، وكنت  
أدقق في ضبط الألفاظ فإية التدقيق حتى إذا ما أشكل على لفظ  
استمدته مرة أخرى . هذا ما كان من جانبي ؛ أما ما كان من  
جانبيهم فأنهم كانوا مرهقين أسماعهم لمحدثي . فإذا ما قدم أو أحرز  
نهبوه إلى غلظه في الحال .

فكانت لدى منة روحية طيلة الساعتين التي قضيتها في العوم  
مع الأسماك .

علي عيود الطاهري

( يتبع )